مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 10 عدد: 2 السنة: 2021
ص: 1089 - 1102 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

وسائل تعليم اللغة العربية في زوايا توات بالجزائر.

Methods of Teaching the Arabic language in Zawaya of Touat in Algeria.

محمد فلاحي *

Fellahi Mohammed

مخبر المعالجة الآلية للغة العربية.، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان / الجزائر

University Abou bekr belkaid – Tlemcen - Algeria

m.fellahi44@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/11/06	تاريخ القبول:2021/01/22	تاريخ النشر: 2021/06/02

ملخص البحث

تعد الزوايا من بين أهم المؤسسات التعليمية التي كان لها دور بارز في الحفاظ على تعليم اللغة العربية في الجزائر، وتعرف هذه الأخيرة انتشارا كبيرا للزوايا على مستوى كافة ترابها، ومن أهم المناطق التي يتواجد بها عدد معتبر من الزوايا هي توات، إذ أدت الزوايا في منطقة توات دور المؤسسات التعليمية وساهمت بشكل كبير في الحفاظ على اللغة العربية.

ويتم تعليم اللغة العربية في زوايا توات وفق الطريقة التقليدية، وهذا باعتماد على مجموعة من الوسائل التعليمية القديمة، وسنحاول إبراز أهم هذه الوسائل، ونهدف من وراء ذلك إلى كشف جانب من الجوانب التي كان الدرس التعليمي يرتكز عليها في زوايا منطقة توات، وهذا الموضوع له أهمية كبيرة في معالجة وتطوير آليات التعليم الحديثة.

الكلمات المفتاح: وسائل التعليم، زوايا، توات، لوح، متون.

Abstract :

Zawaya are considered to be among the most important educational institutions that have had a prominent role in preserving the teaching of the Arabic language in Algeria. The latter is known for a great spread of Zawaya across its territory. Among the prominent ones is that of Twat where Zawaya played a crucial role as educational institutions that are known for their significant contribution in preserving the Arabic language.

The Arabic language is taught in the Zawaya of Touat according to the traditional ways, based on a set of old educational methods. Trying

* محمد فلاحي m.fellahi44@gmail.com

to demonstrate those methods, this is an endeavor to manipulate and ddisplay some of the aspects on which a lecture is based in the Zawaya of Twat. This subject matter is considerably gnificant in addressing and developing modern education mechanisms.

Keywords: Teaching Methods, Twat, Slate(Lawh), Mutoun.

أولا– توطئة:

تعد منطقة توات الواقعة جنوب الجزائر من بين أكثر المناطق التي تنتشر فيها الزوايا، وهي تعتبر مراكز علمية لها ثقل كبير ومؤثر في المجتمع التواتي، وتعتمد هذه الزوايا في طريقة تعليمها لعلوم اللغة العربية وغيرها من المعارف على مجموعة من الوسائل التعليمية البسيطة والتي تعتبر قليلة وقديمة، ورغم ذلك فقد تكون بواسطة هذه الوسائل البسيطة عدد كبير من العلماء الذين يُشهد بأن لهم قدم راسخة في اللغة العربية، فقد ألفوا المؤلفات، ونظموا الأشعار، وشرحوا الكتب وقيدوا عليها الشروح والحواشي.

ومن هنا تعترينا مجموعة من التساؤلات في مقدمتها: ماهي أهم الوسائل التعليمية التي تعتمد عليها زوايا توات في تعليم الدرس اللغوي؟ وكيف ساهمت هذه الوسائل في الحفاظ على اللغة العربية في المنطقة؟ لعل من أبرز الوسائل المستخدمة في تعليم اللغة العربية في زوايا توات هي اللوح والقلم والدواة والمنظومات والشروح، والتي أدت دورا كبيرا في نقل المعارف اللغوية من جيل إلى جيل وهذا عن طريق الحفاظ على المتون والمسائل اللغوية محفوظة، وكذا ساعدت هذه الوسائل التعليمية في نقل المعارف اللغوية من المعلم إلى المتعلم وكذا ساهمت في تبسيط الدرس اللغوي من أجل وصوله لذهن المتلقي.

ونهدف من وراء هذا البحث لاستظهار نوع الوسائل التعليمية المتاحة في الزوايا التواتية وتسليط الضوء عليها من أجل مزيد من الدراسات التي تصب في هذا السياق، وهذا لنساهم في بلورة منهج تعليمي مبني على الأصول التعليمية العربية التي تتوافق والبيئة الاجتماعية والثقافية لمجتمعنا، وهذا من خلال التأصيل لمنهج منبثق من بيئة المتعلم يساهم في ربطه بمحيطه، وهذا لأن تطور تعليم اللغة العربية مرهون بفهم هذه المعطيات الدقيقة.

ثانيا– تعاريف.

1- تعريف الزاوية:

أ- لغة:

يقول ابن منظور: "زوي: الزَّيُّ: مصدر زوى الشيءَ يَزْوِيه زيّاً وزُوِيّاً فانْزَوَى، نحَّاه فَتَنَحَّى. وزَواهُ: قَبَضهُ. وزويْتُ الشيءَ: جَمَعْتُهُ وقبضتهُ. وفي الحديث: إن الله تعالى زَوَى لِيَ الأرض فأُريتُ مشارِقَها ومغارِبَها. ...وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوْا وتضامُّوا. والزَّاوية: واحدةُ الزوايا"[1] فلفظ الزاوية إذا يشتق من الفعل انزوى بمعنى ابتعد وانعزل وسميت كذلك لأن الذين فكروا في بناءها أوّل مرّة اختاروا الانزواء بها بعيدا عن الأماكن العامة، وورد لفظ زوى في كلام العرب وأشعارهم ومن بينها قول الأعشى:

يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّـــرْفَ دُونِي كَأَنَّما ** زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ المحَـاَجِمُ

فَلاَ يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى ** وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ[2]

وعلى حسب التعريف اللغوي يتبين لنا أن معنى لفظ انزوى يحمل عديد الدلالات المتقاربة من بعضها كالابتعاد والانعزال والاعتكاف بعيد عن الناس وقد يحمل دلالة عكسية تكون تدل عل التقارب والتضامن حين يستعمل في سياقات مغايرة فحين نقول انزوى القوم يصبح المعنى هنا يدل على التقارب كما رأينا في تعريف ابن منظور، فالزوايا هي كذلك مكان "يجتمع فيه الضيوف والفقراء وطلبة العلم ويُجمع المال لها بالطرق المشروعة لتمويلها وتسير نظمها"[3] وهذا عن طريق الوقف والهبات والأحباس.

ب- اصطلاحا:

من التعريف اللغوي يتضح أن معنى الزاوية في الاصطلاح يحمل أحد معاني الزاوية من حيث دلالة اللفظ اللغوية، فإما يحمل معنى الانزواء والابتعاد، وهذا ما يفسر السر من وراء تواجد أكثر الزوايا في مناطق منعزلة بعيدة عن السكان في الخلاء والبراري والجبال، أو يحمل معاني أخرى غير هذا المعنى فنقول " زوي الشيء أو زواه بمعنى قبضه معه"[4] وهذا يحيلنا على معنى آخر يحمله مصطلح الزاوية وهو جمع الناس ولم شملهم بداخلها، فتعددت دلالة المصطلح بتعدد السياقات التي يرد فيها فيفهم من لفظة الزاوية: البعد، والانعزال، والقبض، والجمع، والتضامن، والتكافل، والركن، وأساس البناء، والزاوية الهندسية.

ولكن دور الزوايا تطور مع مرور الوقت وتطورت معها دلالة لفظ الزاوية فأصبح اللفظ اليوم يعني " مراكز تحفيظ القرآن الكريم وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية"[5]. وهذا ما هو عليه حال أكثر الزوايا في هذا الزمن.

2- **تعريف توات**.

لقد تعددت الروايات في أصل تسمية منطقة توات بهذا الاسم ووصلت حد التباين والاختلاف، وذكر العديد من العلماء والمؤرخين منطقة توات في كتبهم، من بينهم ابن خلدون الذي ذكرها في المقدمة فقال " وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان"[6] وعبد الرحمان السعدي الذي حكى أن سلطان مالي كنكن موسى الذي ذكره بالصلاح والعدل كان ذاهبا إلى الحج في أوائل القرن الثامن في قوة عظيمة وجماعة كثيرة "ومشي بطريق ولات في العوالي، وعلى موضع توات فتخلف هناك كثير من أصحابه لوجع رجّل أصابهم في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم فانقطعوا بها وتوطنوا فيها، فسمي الموضع باسم تلك العلة"[7] كما توجد رواية ثانية وهي أنه "لما استفتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، ووصل ساحله، ثم عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة، وصل خيله توات، ودخل بتاريخ 62هـ، فسألهم عن هذه البلاد يعني توات، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب،... فأجابوه بأنها تواتي، فنطلق اللسان بذلك أنها تواتي، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف"[8].

وهناك من يرى أن أصل الخلاف يرجع إلى التباين في اشتقاق كلمة توات "هل هو من الفعل واتى يواتي، أو هو اسم للمغارم، أي الأتوات، أو هو غير هذا وذاك"[9] فنجد في الصحاح أن الفيومي ذكرها بمعنى الأتوات فقال: "توات هو الفواكه الفاكهة، والجمع أتوات"[10] بينما يعدُهَا آخرون كلمة بربرية تطلق على المكان المنخفض بعض الشيء ويطلقون اللفظة على ذلك "الجزء الداخل من جسم الإنسان، والذي يقع تحت القفص الصدري"[11]. ويعتقد الكثير من المؤرخين لتاريخ المنطقة أن أهل القطر التواتي قبل الإسلام عجم لا عربية فيه، وبأن البربر هم من سكنوها قبل الإسلام ونزحوا إليها من مختلف المناطق ودخلوها ويحتجوا القائلون بهذا القول بأن "تسميات القصور التواتية جاءت بلغتهم الزناتية الذين دخلوا توات بعد سقوط دولتهم زناتة بالمغرب"[12] بينما يرى الشيخ مولاي أحمد الطاهري أن أصل تسميت المنطقة بتوات هو أنها "تواتي العبادة أي

تليق بها، لأن كل من قدم إليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة"[13] وهناك الكثير من الآراء حول أصل كلمة توات تصل حد التباين والاختلاف، لا يسع المقام لذكرها.

أما المكان الجغرافي الذي أصبح يطلق عليه اسم توات فهو عبارة عن "صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما جوفا. وغرب عشرون يوما لأول السودان ومن اغدامس عشرون يوما ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا ومن ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع"[14] وهي تتشكل في الأصل من "مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية تؤلف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايت ومن الجنوب هضبة مويدير ويشكل واد الساورة الطريق التجاري لإقليم توات"[15] وهي تعد من بين أهم الأقاليم الموجودة في الجنوب الجزائري وذلك بسبب موقعها الجغرافي الذي يتوسط الصحراء الجزائرية، وكونها محطة رئيسية تمر بها القوافل التجارية وقوافل الحجاج، وهذا الأمر جعل العديد من سكان المناطق المحاذية لها يستقرون بها.

ثالثا– الوسائل التعليمية مفهومها وأهميتها:

1– مفهوم الوسائل التعليمية.

اختلف علماء التربية في مفهوم الوسائل التعليمية، وهذا الاختلاف راجع في الأساس لاختلاف المسمى فلم يتفقوا على إطلاق مصطلح الوسائل التعليمية بل اختلفوا فيه والسبب وراء ذلك هو تعدد مسمياتها فيطلق عليها "وسائل الإيضاح، الوسائل البصرية، الوسائل السمعية، الوسائل العينية، الوسائل التعليمية، تكنولوجيا التعليم"[16]. وهذا الاختلاف في التسمية ينتج عنه اختلاف في المفهوم.

فهناك من عرفها على أنها "مجموعة من الخبرات والمواد والأدوات التي يستخدمها المعلم لنقل المعلومات إلى ذهن التلميذ سواء داخل الصف الدراسي أو خارجه بهدف تحسين التعليم، الذي يعتبر التلميذ النقطة الأساسية فيه"[17] ولهذا يمكن القول بأن الوسائل التعليمية تشمل كل الأجهزة والأدوات والمواد التي يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم، بينما عرفها آخرون على أنها "الأدوات والطرائق التعليمية التي تتيح للمدرس أن يعلم عددا أكبر من التلاميذ تعليما أفضل وأسرع وبأقل جهد"[18] وهي تشمل "كافة الأدوات والأجهزة التي يستعين بها المعلم،

لتحقيق الأهداف التربوية في عملية التعليم والتعلم"[19] واختلاف المفهوم في الدراسات العربية لا يقتصر على الوسائل التعليمية بل يشمل العديد من المفاهيم وفي مختلف الميادين والعلوم.

2- أهمية الوسائل التعليمية.

للوسائل التعليمية أهمية كبيرة في إنجاح الدرس وفي إيصال المعلومة لذهن المتلقي فهي تساعد على "توفير الوقت والجهد، وتساعد على الفهم بتوضيح المعاني المجردة إذا ما ارتبطت بأشياء محسوسة"[20] ومن فوائدها كذلك:

- تثير الاهتمام والانتباه.
- تجعل الطالب أكثر فعالية في تلقي المعلومات.
- تساعد على التعليم الأفضل وهذا بخلق بيئة تعليمية محفزة.
- تثير النشاط الذاتي لدى الطلاب وتحفزهم على البحث والقراءة.
- تجعل التعليم أبقى أثرًا وأعظم كفايةً وأكثر عمقاً وذلك من خلال ربط الدال بالمدلول وخلق صورة ذهنية سليمة في عقل المتعلم.
- تنمي الاستمرار في متابعة الفكرة وقوة التركيز.
- تزيد الثروة اللفظية لدى الطالب.[21]

وهذا طبعا يختلف على حسب الوسيلة وطبيعة مستخدمها فلكل طالب عقلية معينة تجعله يميل ويرغب في استخدام مجموعة من الوسائل دون غيرها فالطبيعة الفروق الفردية للفيزيولوجيا وتركيبة الدماغ تختلف من شخص لآخر ومن جنس لجنس آخر.

رابعا- الوسائل التعليمية في زوايا توات.

تعتمد الزوايا في توات على مجموعة من الأدوات والوسائل في تعليم اللغة العربية منها: القلم والدواة، واللوح، والمتون، والشروح، وهي أبرز الوسائل التي يتم استخدامها تقريبا في كل الزوايا، والتي تهدف من خلالها إلى تسهيل تعليم الطلاب وتلقنهم علوم اللغة العربية وغيرها من المعارف، وتعتبر هذه الوسائل (اللوحة والقلم والمتون) من بين أقدم الوسائل التعليمية التي عرفها الانسان والتي عكف على استخدامها منذ قرون، بحيث يعد اللوح والقلم "عماد الحياة المحضرية"[22] فلا يمكن الاستغناء عنهما فهما أبرز الأدوات التي يتم التعليم بواسطتهما في الزوايا عموما.

أ- القلم والدواة واللوح.

1- **اللوح**: هو عبارة عن قطعة مستطيلة الشكل مصنوعة من الخشب الجاف، وليس له أبعاد محددة في الغالب يكون متوسط الحجم، ولا يستخدم فيه خشب بعينه إلا أنه يستحسن اختيار ما هو معروف من الخشب بجودته، يستخدم في ترطيبه الصلصال، وفي حياة الطفل التواتي "يومان متميزان يوم يحمل اللوح – يقولون قد دخل المدرسة – ويوم يأخذ فيه قلمه فيبدأ في كتابة لوحه بنفسه"[23] وهذا يظهر العلاقة المميزة التي تربط الطفل بلوحه، لأنه يصبح رفيق دربه فتجده في أتم السعادة وهو يتقلد لوحه متجها صوب المحضرة، ويرافقه حتى ينهى المرحلة الأخيرة من تعلمه في الزاوية، فهو يتعلق به ويحرص عليه أشد الحرص.

ويستخدم اللوح في العديد من المواقف التعليمية داخل الزاوية، فهو أحد أهم الوسائل التعليمية التي يتم الاعتماد عليها، حيث "يكتب المعلم في اللوح الآيات بقلم الرصاص او بما يظهر تأثيره في اللوح ليتابع ذلك الصبي بالقلم والحبر حتى يتدرب على وضع الحروف وتحسينها"[24] ويستخدم الصبي اللوح كذلك في كتابة القرآن الكريم قصد حفظه، ويبدأ الطالب في كتابة المتون في آخر اللوح مع سور القرآن التي يكتبها عليه، ويتوجب على كل الطلبة الحضور بعد صلاة الصبح إلى الزاوية فيأخذ كل واحد منهم لوحه ويجلسون قبالة المعلم، وعندما يتم التلميذ حفظ لوحه يعرض على الشيخ وبعد العرض يمحي اللوح إن كان حافظ لما فيه وإن لم يكن كذلك يرجع حتى يحفظ اللوح جيدا، ومن إيجابيات استخدام اللوح كونه يساعد الطالب

على حفظ ما يمليه الشيخ ويتعلم عليه الخط، كما أن طبيعة اللوح الخشبية تجعله وسيلة صحية غير ضارة.

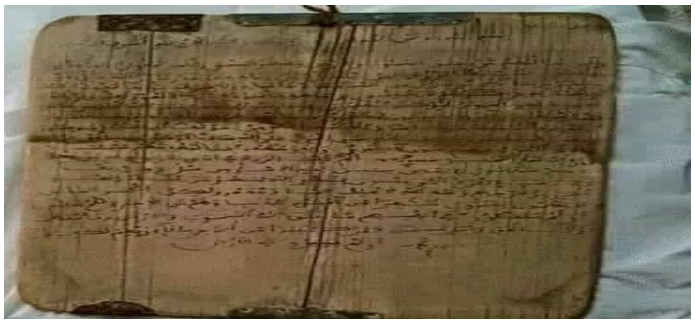

ب- اللوح

2- **القلم والدواة:** تتم الكتابة على اللوح بواسطة القلم وهذا باستخدام الدواة، ويتم صناعة الأقلام في منطقة توات من "القصب أو من جريد النخيل وأعواد دقيقة مسطحة"[25] وهذا لكون النخيل والقصب من بين أبرز وأهم الموارد التي يتم الإعتماد عليها في صناعة الكثير من الأدوات التي تخص الحياة الصحراوية، لهذا يعتمد الطلبة عليهما في صناعة الأقلام ويخترون لذلك من الأعواد ما استقام واستوى وجف من الرطوبة وهذا من أجل الحصول على قلم ذي شكل مميز وجودته عالية لا يلتوي مع طول الاستخدام ولا يمتص الكثير من الحبر، كما أنه يسهل التحكم في شكله عند صناعته فيخرج على الشكل المرغوب فيه، وغالباً ما يكون طوله دون الشبر، وهذا الطول من أجل أن يتناسب مع قبضة اليد بحيث يسهل على المستخدم استخدامه والكتابة به على اللوح، وتعد هذه الأداة اقتصادية من ناحية ومن ناحية أخرى تساهم في تعليم الطالب الاعتماد على نفسه في صناعة أغراضه المدرسية مما يساهم في رفع حسّ المسؤولية والاعتماد على نفسه.

أما عن طريقة صناعته فإن لذلك معاير وحرفية خاصة يتقنها الطلبة وهي من بين الامور التي يجب على المتعلم إتقانها، فبعد أن يتخير الطلبة العود الجيد من القصب أو جريد النخل "يقومون ببري رأس العود بموس أو شفرة يأخذون من وسطه وأطرافه حتى إذا دق رأسه شقوه من النصف شقاً خفيفاً دقيقاً به يسهل انسياب الحبر وغالباً ما تكون للطلب عدة أقلام"[26] يختارون من بينها على حسب نوع الخط الذي يريد الكتابة به أو يقومون بتعويض ما تلف منها أو ضاع.

ويتم استخدام هذه الأقلام من أجل الكتابة فوق الألواح، ويستخدم في ذلك نوع من الحبر الخاص يسمى الدواة والذي يتم صناعته من قبل الطالب "فيصنع من صوف الغنم ويكون أسود اللون"[27] بحيث يتم احضار سوف الغنم وتنقيته جيد ومن بعدها يتم حرقه ويضاف له الماء بكمية معلومة، ومن ثم يوضع في قارورة خاصة ويتم الاحتفاظ به مع الأقلام.

ج- القلم والدواة.

3- **المنظومات (المتون)**: لا يكاد يوجد علمٌ من العلوم التي يتم تدريسها في الزوايا بمنطقة توات، إلا وتم اختصاره في منظومات أو ما يعرف بالمتون، سواء من قبل علماء المنطقة أو مما هو موجود ضمن التراث اللغوي العربي، وتعرّف المنظومات على أنها "إعادة تأليف كتاب أو اختصاره في شكل منظومات شعرية تعليمية"[28] ويتم صياغتها على هذا الشكل من أجل أن تسهيل حفظها على طلبة العلم خاصة ما تعلق بالفقه واللغة العربية، وهي ليس لها "من سمات الشعر إلاّ الوزن والقافية، وخلت من العواطف والأخيلة واقتصرت على المعلومات والحقائق العلميّة"[29] وفي الغالب تكون المنظومات من كامل الرجز أو مشطوره لسهولته ولقد فسر الباحثون هذا الميل في نظم العلوم على شكل منظومات إلى "رغبة الشعوب في التغني بالكلام،...ويضاف إلى ذلك الجانب التعليمي الذي يراد به للمتعلم أن يحفظ العلم وقواعده عن ظهر قلب لأن لغة النظم مركزة مضغوطة موجزة"[30] وكذلك لما للشعر من ميزات أخرى فهو أعلق في الذاكرة وأقرب إلى القلب. كما تحوي هذه المتون على الكثير من القواعد والشواهد التي تساعد المتعلم على "ضبط الكلمات، ونظام تأليف الجمل، ليسلم اللسان من الخطأ في النطق، ويسلم القلم من الخطأ في

الكتابة"[31] فهي من أهم الوسائل التي تساعد على التمكن من قواعد العلوم ومسائلها بمختلف فروعها وأصولها.

وعرف ميدان اللغة الكثير من المنظومات اللغوية، وهذا على غرار "الدرة الألفية، وهي منظومة في النحو"[32] لها العديد من الشروح، ويوجد قبلها الكثير من المنظومات وخاصة في النحو، فقد ذكر أن أول من نظم أرجوزة في النحو هو أحمد بن منصور اليشكري فقد ذكره السيوطي في بغية الوعاة فقال "نقل عنه أبو حيان في الارتشاف، وقال : له أرجوزة في النحو"[33] وجاء من بعده الكثير ممن سلكوا مسلكه في نظم العلوم.

وشهدت منطقة توات اشتغال العديد من العلماء على هذا النوع من المنظومات، ومن أبرزهم الشيخ محمد الزجلاوي، محمد بن بادي، عبد الطريم بن بابا حيدا والكثير منها لا يزال على شكل مخطوطات في خزائن توات.

ومن بين أشهر من نظموا المنظومات اللغوية في توات نجد على رأسهم محمد بن أُبّ المزمري له: (درر النحو في فك البحور نظم في علم العروض، في أسماء البحور الشعرية نظم في علم العروض، بحور الشعر وما يصيبها من علل وزحافات نظم في علم العروض، نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم نظم في النحو، كشف الغموم في نظم مقدمة ابن آجروم نظم في النحو.)[34] وهذا يؤكد على المكانة التي تحض بها اللغة العربية عند علماء توات.

4- **الشروح:** وهذا النوع من التصنيف قديم بقدم التأليف عند العرب فالكثير من الكتب القديمة عليها شروح عديدة سواء في علوم اللغة أو غيرها من العلوم والأمثلة كثيرة منها شرح "مفصل الزمخشري لابن يعيش، شرح حدود النحو للآمدي، شرح اللمع لابن جني، شرح الأنموذج في النحو"[35] فالشروح إنما هي في الأصل "عمل جاء لتوضيح كل الغموض الوارد في المتن، وتفصيل ما أجمل"[36] فيه الغاية منها تفسير الغامض وتفكيك المجمل وتبيان المعاني الخفية، وهذه النوع من التأليف عرفه أهل توات ولم يكن ابتداعا من عندهم، ولكنه منتشر في هذه المنطقة بكثرة فنجد أن علماء المنطقة عكفوا على شرح العديد من الكتب والمنظومات الطوال لطلابهم من أجل أن ييسروا عليهم اكتساب العلم ويحفزوهم على حمل الهمة العالية في طلبه والحرص عليه.

ولعلماء توات الكثير من الشروح وفي شتى العلوم خاصة "مختصر خليل، وكذلك متن ابن عاشر في الفقه المالكي"[37] أما في اللغة فلهم عديد الإسهامات في شرح الكتب المتعلقة

بالنحو والبلاغة والعروض والصرف، وفي العديد من الحالات يتم هذا الأمر عن طريق جمع الشروح التي يقدمها الشيخ أو المعلم للطلبة أثناء تعليمهم فيقيدون شروح المشايخ التي تجمع في ما بعد لتصبح شرح على نظم أو كتاب، لهذا يمكن القول أن طريقة التدريس في منطقة توات لها دخل مباشر في إثراء خزائن توات بمثل هذه التآليف، وأن لطلبة المشايخ دور فعال كذلك في انتاج الشروح، وهذا من خلال حرصهم على تدوين كل كبيرة وصغيرة يتلفظ بها المعلم.

ومن جملة الكتب التي عليها كثر من الشروح في منطقة توات، وهي متعلقة بالجانب اللغوي نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر "مقدمة ابن آجروم التي عليها العديد من الشروح ومن أشهرها شرح ابن أبّ المزمري، كما وضع سيدي المختار الكنتي شرحا على منظومة المقصور والممدود لابن دريد في علم الصرف، وقام البعض بشرح أبواب من الألفية"[38] وهذا الكم الكبير من الشروح يعزز من قيمة اللغة العربية في المنطقة كما يساعد في تعليمها وتعلمها وسط أهل المنطقة.

خامسا– خاتمة:

يمكننا القول إن الوسائل التعليمية التي تعتمد عليها زوايا توات في تعليم اللغة العربية هي وسائل بسيطة تتمثل في اللوح والقلم وجملة من الكتب(المتون، الشروح)، ورغم ذلك إلى أنه تخرج بفضلها رجال حملوا لواء العلم في كل عصر. ولهذه الوسائل جانب إيجابي وآخر سلبي كما لأي صناعة بشرية لا يمكن لها الكمال بحال من الأحوال ويمكن حصر أهم ما توصلنا إليه في هذه الدراسة في الآتي.

- تعد الزوايا أهم المراكز التعليمية التي حافظة على تعليم اللغة العربية.
- الوسيلة التعليمة من أهم ركائز نجاح العلمية التعليمية.
- لا يمكن اعتبار الوسائل التعليمية التي تعتمدها الزوايا في توات أنها وسائل غير ناجعة بسبب قدمها لأن الواقع يحكي عكس هذا فهذه الوسائل ساهمت بشكل مباشر في تطوير تعليم اللغة العربية في المنطقة وترقيتها.
- يعد اللوح والقلم والمتون من بين أهم الوسائل التعليمية في زوايا توات.

- الوسائل التعليمية في الزوايا مرتبطة بالمتعلمين ارتباطا عاطفيا لأنهم يقمون في الغالب بصناعة الأقلام والألواح بأنفسهم وتدوين الشروح والمتون بأيديهم، وهذا يخلق رابطا متينا بين الوسيلة والمتعلم ويعزز من استخدامها.

وما قدمناه في هذه الدراسة ما هو إلى قليل من كثير، ويحتاج هذا الموضوع إلى مزيد من الدراسة والبحث لعله يصل بنا الأمر لتأصيل لمنهج تربوي تعليمي مستنبط من رحم البيئة التي يعيش فيها متعلمينا.

هوامش:

[1] جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان،1414هـ، ص363/14-364.

[2] الأعشى الكبير ميون بن قيس، ديوان الأعشى، شرح و ت: محمد حسين، دار مكتبة الآداب بالجماميرت، المطبعة النموذجية، ص:79.

[3] ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من جهات، دار المعرفة الدولية لنشر والتوزيع، الحراش، الجزائر، 2015، ص 340.

[4] ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، ص 363/14.

[5] عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ص13.

[6] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001، ص70.

[7] عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ت هوداس بنوة، باريس، فرنسا، 1898، ص07.

[8] ينظر: أحمد أبّا الصّافي جعفري، الحركة الأدبية في إقليم توات، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2009، ص17.

[9] المرجع نفسه، ص19.

[10] أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، المطبعة الأميرية، ط4، القاهرة، مصر، 1921، 108/1.

[11] بوساحة، أصل أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2002، ص79.

[12] عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الطباعة العصرية، برج الكيفان، الجزائر، 2010، ص11.

[13] مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الإستعمار، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ص34.

[14] ت: أبو أنس عبد القادر نعيوى، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، دار صبحي لطباعة والنشر، ط1. غرداية، الجزائر، ص19.20.

[15] محمد حوتية، توات والأزواد، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 28/1.

[16] أحمد عيسى داود، أصول التدريس النظري والعملي، دار يافا العلمية، ط1، عمان، الأردن، 2014، ص65.

[17] سمير جلوب، الوسائل التعليمية، دار من المحيط إلى الخليج، ط1، المملكة الأردنية الهاشمية، 2017، ص07.

[18] بن يزيح نذير، ملفات سيكوتربوية تعليمية، دار هوم، الجزائر، 2010، ص101.

[19] جمال بن ابراهيم القرش، مهارات التدريس الفعال، النجاح للكتاب للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2016، ص107.

[20] حسن شحاته، أساسيات التعليم والتعلم، توجيهات حديثة وتطبيقاتها، دار العلم العربي، ط1، القاهرة، مصر، 2015، ص80.

[21] ينظر، جمال بن ابراهيم القرش، مهارات التدريس الفعال، النجاح للكتاب للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2016، ص107.

[22] محمد حوتية، توات والأزواد، المرجع السابق، ص251.

[23] المرجع نفسه، ص252/251.

[24] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، المصدر السابق، ص293.

[25] محمد حوتية، توات والازواد، المرجع السابق، ص252.

[26] المرجع نفسه، ص252.

[27] المرجع نفسه، ص252.

[28] عبد القادر بقادر، جهود علماء توات في الدريس اللغوي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (دراسة في الأنماط والأشكال)، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، العدد 19، جانفي 2014، ص93.

[29] عبد الله عمّاري، الجهود النحوية لعلماء منطقة توات من القرن 11 إلى القرن 15 هـ دراسة في الأعلام والمناهج وبوادر الاجتهاد، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر 2015/2014، ص187.

[30] ينظر: ممدوح عبد الرحمن، المنظومة النحوية دراسة تحليلية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص05.

[31] عبد الحليم إبراهيم، النحو الوظيفي، دار المعارف، ط9، القاهرة، مصر، 1998، ص هـ . و.

[32] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ت، عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط5، ص306/5

[33] عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جلال الدين، بغية الوعاة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1964، ص362/1

[34] ينظر: عبد القادر بقادر، جهود علماء توات في تدريس اللغة العربية، المرجع السابق، ص94.

[35] عبد الله عمّاري، الجهود النحوية لعلماء منطقة توات، المرجع السابق، ص198.

[36] المرجع نفسه، ص186.

[37] عبد القادر بقادر، جهود علماء توات في تدريس اللغة العربية، المرجع السابق، ص92.

[38] ينظر، المرجع نفسه، ص92.